المقتطف

الجزء السابع من المجلد السابع والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٠

السلم في بلاد البوير

اللورد ربرتس — اللورد كتشنر

سلَّم البوير للانكليز في اليوم الاخير من شهر مايو (ايار) وقد ثبت لهم انهم لا يستطيعون مناوأة امَّة لا نسبة بينهم وبينها في المال ولا في عدد الرجال وان اعتمادهم على غير الدهر ان تقلب لخصومهم ظهر المجن اضغاث احلام. واخذهم بمواعيد المغرِّرين بهم ضعف في الرأي واستناد على الاوهام. ورأوا من الامَّة التي تحاربهم شهامة وكرم اخلاق وعلموا ان اللاجئين اليها يكرمون والمستظلين بظلها لا يضامون. فالقوا سلاحهم عن طيب نفس ورضوا بشروط التسليم ورحبوا بالحكومة الجديدة التي رأوا ان لا بدَّ لهم منها جارين على قول الحكماء اذا لم يكن لك ما تريد فارد ما يكون. فكانوا ابطالاً بواسل في الحرب دهاةً متبصرين في السلم يعرفون كيف يناضلون عدوهم وكيف يصافونهُ. ولو قبلوا هذا السلم على ضغن ولأموا جرح نفوسهم على عثم

كما فعل غيرهم من امم المشرق ما نالهم من هذه الحرب غير الدمار بعد خراب الديار. اما وقد قالوا للانكليز حار بناكم ما ظننا الحرب حزماً وسالمناكم لما رأينا السلم غنماً والدنيا مصالح وتخاصمكم الولاء كما يخلصه ابناؤكم الادنون فلا يبعد ان نراهم بعد اعوام قليلة ممتزجين بالامة الانكليزية امتزاج الراح بالماء لهم ما لها وعليهم ما عليها يحسبون عزها عزهم وصولتها صولتهم فيمون تحت رايتها ويفلحون ويكون ابطالهم سيفها الصقيل. ولو فازوا بالاستقلال التام ما امكنهم ان ينشئوا لانفسهم دولة لها عشر صولة دولتهم الجديدة. واكبر ما يُعترض به على الحرب الماضية ما فقدتهُ الامتان من المال والرجال اما المال فعادٍ ورائح ولا يضيع مال ينتقل من يد زيد الى يد عمرو من ابناء الامة الواحدة. فما انفقتهُ الحكومة الانكليزية على الحرب بقي اكثرهُ في يد ابنائها. واما الرجال فجراح الذين فقدوهم اليمة ولكن الزمان يبرئها ونكبة الامة بهم كبيرة ولكنها لا تقاس بنكبات الدهر في عشر دقائق قتل بركان يلي اضعاف مَن قُتل في هذه الحرب ولذلك شمل السرور الامتين المتحاربتين يوم وضعت الحرب اوزارها وشاركهما فيهِ اكثر امم الارض. اما شروط التسليم فهي هذه منقولة عن المقطم الصادر في ١٠ يونيو

المادة الاولى. يسلم البوير الباقون في ساحة القتال اسلحتهم وكل مدافعهم وبنادقهم وذخائرهم ويمتنعون عن المقاومة لسلطة جلالة الملك ادورد السابع ويعترفون بانهُ ملكهم الشرعي. اما كيفية هذا التسليم وطرقهُ فيتفق عليها بين اللورد كتشنر والقواد بوثا ودلاري ودي وت

المادة الثانية. كل البوير الذين هم خارج حدود الترنسفال ومستعمرة اورنج واسرى الحرب الذين هم خارج جنوب افريقية يردون الى اوطانهم اذا قبلوا شروط الرعوية لجلالة الملك ادورد السابع ويكون ردهم اليها تدريجاً حالما تسمح بذلك وسائط النقل وتقضي لهم وسائط اعالتهم

المادة الثالثة. البوير الذين يسلمون او يرجعون على مقتضى هذه الشروط لا يعدمون حريتهم الشخصية ولا املاكهم

المادة الرابعة. لا تقام دعاوى مدنية ولا جنائية على البوير الذين يسلمون او يرجعون على الوجه المتقدم ذكرهُ وهذا العفو لا يشمل الذين ارتكبوا اموراً مخالفة لاصول الحرب المرعية التي ابلغها القائد العام الى قواد البوير والتي تُنظر في مجالس عسكرية بعد انتهاء الحرب

المادة الخامسة. تعلَّم اللغة الهولندية في المدارس العمومية في الترنسفال واورنج حيث يشاء الوالدون تعليمها وتستعمل في المحاكم حيث يكون استعمالها اصلح للقضاء بالعدل بين المتقاضين

المادة السادسة. يرخص باقتناء البنادق للذين يحتاجون اليها ليحموا انفسهم في مستعمرة اورنج على شرط ان يحصلوا على رخصة بذلك طبقاً للقانون

المادة السابعة . تستبدل الحكومة العرفية (الادارة العسكرية) في الترنسفال وفي اورنج باقرب ما يمكن بحكومة مدنية ثم تعطيان حكومة نيابية توطئة للاستقلال الاداري (الاستقلال في الشؤون الداخلية) حالما تسمح الاحوال بذلك

المادة الثامنة . لا يفصل في مسألة اعطاء حقوق الانتخاب للوطنيين الاَّ بعد تقرير الاستقلال الاداري

المادة التاسعة . لا تضرب ضرائب خصوصية على العقارات في الترنسفال وفي مستعمرة اورنج لسد نفقات الحرب

المادة العاشرة . تعين لجنة يشترك فيها اهالي البلاد في كل قضاء من اقضية الترنسفال ومستعمرة اورنج برئاسة رجل من اهل القضاء او موظف آخر حالما تسمح الاحوال بذلك لرد الاهالي الى اوطانهم ومساكنهم واعطائهم ما يلزم من الطعام والمأوى والمواشي والبذار (التقاوي) والآلات وغيرها مما لا غنى عنهُ للذين باتوا غير قادرين على اقتناء شيء من ذلك بسبب الخسارة التي خسروها في الحرب

وستضع حكومة جلالة الملك ثلاثة ملايين جنيه تحت امر تلك اللجان للغاية التي تقدم ذكرها . ثم ان السندات التي كتبتها جمهوريتا جنوب افريقية طبقاً لقانون سنة ١٩٠٠ وجميع الوصولات التي اعطاها ضباط الجمهوريتين السابقتين المحاربون او اعطيت بامرهم تعرض على لجنة قضائية تعينها الحكومة فاذا رأت هذه اللجنة ان تلك السندات والوصولات اعطيت على اشياء ذات قيمة تحسبها اللجان التي تقدم ذكرها من الاوراق المثبتة للخسارة الحربية التي خسرها من أُعطيت لهُ والاَّ فلا

هذا وحكومة جلالة الملك مستعدة لاقراض البوير لمثل هذه الغاية ايضاً اموالاً بلا ربا مدة سنتين وتستردها منهم بعد عدة سنوات بربا ٣ في المئة وذلك عدا الثلاثة الملايين الجنيه التي تعطى لهم هبة ولا يحق لاحد من الاجانب او من العصاة ان يتمتع باحكام هذه المادة

وقد وقَّع هذه الشروط اللورد كتشنر واللورد ملنر بالنيابة عن الحكومة البريطانية وعشرة من مندوبي البوير ستة منهم بالنيابة عن الترنسفال وهم شلك برجرورينز والفراد لويس بوثا ودلاري ولوقاماير وكروغ واربعة بالنيابة عن اورنج وهم الفراد دي وت بالاصالة عن نفسهِ والنيابة عن ستين رئيس جمهوريتها السابق وبرينر واوليفيه والقاضي هرتزوج

وادار الانكليز رحى هذه الحرب بقوادهم المشهورين نخص منهم بالذكر اللورد روبرتس واللورد كتشنر اما اللورد روبرتس فاستلم القيادة العامة حينما رأى الانكليز ان خصمهم اقوى

ممَّا تقدَّروا وانهُ لا بدَّ لهم من ان يرموهُ باعظم رجالهم الذين اذخروهم لنوائب الدهر. ثم تبينوا ان جنديتهم تستدعي الاصلاح من مركزها فاعادوا اللورد ربرتس الى بلاد الانكليز ليتولَّى ادارة الجنود العامَّة وابقوا اللورد كتشنر في ساحة الوغى فذلَّل الصعاب ومهَّد العقاب ولقي الاعداء بعزم يفل الحديد الى ان فاز فوزًا مبينًا فضمَّ الى بلادهِ بلادًا وافرة الغنى والى امتهِ امةً تهابها اسود الشرى

وكان عدد جنود البوير في بدء القتال نحو خمسين الفًا وعندهم من الميرة ما كفاهم هذا الزمن المديد. وبلادهم بعيدة الاطراف وعرة المسالك وهم وحدهم العارفون بمجاهلها ومكامنها وبقي منهم في ساحة القتال وقت التسليم نحو تسعة عشر الفًا . وكانهم حسبوا ان نوائب الدهر قد تقضي على الانكليز بمصالحتهم إما بثورة تحدث في ممالكهم حينما تقلُّ جنودهم منها او بمغاضبة الدول الاوربية لهم او بما بدا من طمعها ببلاد الصين . لكن خاب فالهم واتحدت انكلترا واليابان اتحادًا يضمن سلامة الشرق الاقصى وظلَّت دول اوربَّا معها على الموالاة والمصافاة حتى اذا لم يبقَ في قوس الرجاء منزع رأى قوَّاد البوير ان لابدَّ لهم من القبول بشروط التسليم المعروضة عليهم فاجتمعوا في بريتوريا مع اللورد ملنر واللورد كتشنر في اوائل شهر مايو الماضي وظلوا في اخذ ورد الى ان اقتنعوا واقنعوا رجالهم بالقبول فامضيت الشروط على ما تقدَّم وكان التسليم يجري على هذا النمط : يذهب قائد البوير مع قائد انكليزي اي حيث يكون جنود البوير ثم يسبقهُ اليهم ويكلمهم في الامر ويقنعهم ان التسليم صار امرًا لهم عاقبة وان كل ما فيهِ انما هو انتقالهم من حكومة الى اخرى ويكتب اسماء ضباطهم . فيسألونهُ عن كل ما يخطر لهم وهو يجيبهم الى ان يقتنعوا بصحة قولهِ ثم ينشدون نشيدًا دينيًّا ويعظهم قسيسهم عظة دينية وحينئذٍ يصل القائد الانكليزي فيخطب فيهم خطبة وجيزة ترحيبًا بهم فيشكرونهُ ويمرُّون امامهُ وهم يطرحون ما معهم من البنادق والميرة وكثيرون منهم لا يملكون انفسهم عن البكاء حينما يلقون بنادقهم من ايديهم لكنهُ البكاء عند وداع إلف عزيز لا على فقد حق او حلول مكروه. ويكون القائد الانكليزي قد اعدَّ لهم الطعام فيسيرون اليهِ ويأكلون امَّا ضباطهم فيعطيهم اذنًا لتبقى اسلحتهم معهم . ويشرع رجال البوير حينئذٍ يسألون عن عيالهم وعمَّا اذا كان يجوز لهم الاجتماع بهم حالاً وتعطى كل عائلة خيمة ومؤونة عشرة ايَّام

ويظهر ممَّا يروى عن رؤساء البوير وممَّا قرأناهُ من خطبهم ومنشوراتهم ان غرضهم الاكبر الآن ان يميلوا بقلوب شعبهم الى مراضاة الانكليز ومصافاتهم حاسبين انهُ اذا تمَّ لهم ذلك فالانكليز لا يعاملونهم معاملة امَّة مغلوبة مقهورة بل معاملة امَّة انضمَّت اليهم وصارت منهم

لها ما لهم وعليها ما عليهم وهذا هو الفوز الاكبر فيستنيد البوير والانكليز معاً لان البلاد واسعة وخيراتها كثيرة تكفي اهلها ومن يهاجر اليها ومتى تساوى السكان في الحقوق المدنية يبقى السبق لذوي الهمم العالية

وقد انصف الانكليز البوير وتراهم يطنبون ببسالتهم كلما خاطبوا فريقاً منهم في امر التسليم ويقولون لهُ ان الملك تنسهُ قد ارسل يحييكم ويثني على بسالتكم فتبرق اسرّتهم ويدعون لهُ بالنصر وتكبر نفوسهم بعد صغرها ويستسهلون التسليم الى مَن يقدرهم قدرهم

ولما تمَّ التسليم بعث اللورد كتشنر الى قواد البوير الثلاثة بوثا ودلاري ودهوت تلغرافاً يقول فيهِ «لقد تمَّ الآن تسليم الاسلحة في الترنسفال وكولونية نهر الاورنج ولذلك اردت ان اعلن على رؤوس الاشهاد ما رأيتهُ من الهمة والدراية في تسهيلكم عمل رجالي فهمتكم ونصائحكم قبل رجالكم تغيير الحكومة عن طيب نفس وأؤكد لكم ان الولاء الذي اظهرهُ رجالكم قد سرَّ جلالة الملك سروراً عظيماً وحوَّل اليكم قلوب الامَّة الانكليزية التي ترحّب بكم كاخوان لها في الرعوية واثق اننا قد ابتدأنا الآن بعصر تعيش فيهِ كل الامم القاطنة جنوبي افريقية على تمام الوفاق والوئام

وغنيٌّ عن البيان ان هذه الحرب التي انفق عليها الانكليز اكثر من مئتي مليون جنيه عادت عليهم بربح سياسي يفوق المال الذي انفقوهُ اضعافاً مضاعفة فاثبتوا للعالم اوربا واسيا ان مستعمراتهم اعضاء حيَّة منهم متَّصلة اعصابها بالراس تتألم لالمهِ وتستريح براحتهِ وتعاونهُ بالمال والرجال وانهم يستطيعون ان يرموا خصمهم باكثر من مئتي الف من الجنود ولو كان في اقصى المعمور من غير ان تقلَّ حامياتهم او تفرغ خزائنهم . ثم هم لم يغلبوا بلاداً ويتركوا اهلها خصوماً لهم يخشى شرهم ويُتوقَّع انتقامهم دواماً بل اصطنعوهم بالمعروف بعد ان كسروا شوكتهم . وهم موطّنون النية الآن على ان يمتعوهم بالحقوق المدنية التي يتمتع بها اخوانهم من اهالي المستعمرات الانكليزية فيكون شأنهم مثل شأن اهالي بلاد الراس ومثل اهالي استراليا وكندا

وقد كتبنا في اليوم الاخير من شهر مايو سنة ١٩٠٠ ما نصهُ " وستضمُّ تلك البلاد الى الممالك الانكليزية فاذا رضي اهاليها بما قُدِّر لهم وامتزجوا بالانكليز عن طيب نفس شاركوهم في كل الحقوق والامتيازات ولم يعد ابناؤهم يفرقون عن ابناء الانكليز كما لا يفرق بين ابناء الشعوب المختلفة المؤلفة منها الامَّة الانكليزية " (انظر المقتطف الصفحة ٥٥٦ الصادر في يونيو سنة ١٩٠٠) ولم يخطر ببالنا حينئذٍ ان هذا القول يحقَّق حكماً بعد سنتين كاملتين فتمضي شروط الصلح في اليوم الاخير من شهر مايو سنة ١٩٠٢ والامور مرهونة باوقاتها